وربما يكون السبب فى ذلك أن طه حسين أبى أن يعترف بعجز أو امتنع عن التحيز لأقرانه . وربما يكون السبب الغالب أن الكاتب الكبير رأى أن ظلام الجهل يلف الكثيرين ، والكل فى حاجة إلى المساعدة ، والأمية سائدة فرأى أن يعاون الجميع ويقدم لهم العلم كالماء والهواء . . بوصفه حقا للكل ، بغير استثناء .

وكان يجب عليه أن يقدم معونة أكبر لهؤلاء الذين لمع من بينهم . . وهم أولى الناس بالرعاية من طه حسين قبل غيره !

وليس طه حسين وحده الملوم بل إننا جميعا ـ فى هذا الشأن ـ ملومون !

ففى نهاية القرن الماضى ، وفى ظل تقاليد وقيم مثالية حلوة وجد طه حسين من يقرأ له وهو صبى أزهرى فقير .

وفى باريس وجد زوجة فرنسية تعاونه .

وبعد ذلك كان له سكرتير دائم .

وفى زماننا هذا لايستطيع الكفيف الفقير أن يضمن سكرتيرا متطوعا أو متفرغا .

ومن حسن الحظ أنه بعد انتشار الكتابة بحروف « برايل » أصبحت هذه الحروف تقوم بمهمة السكرتير لكل المكفوفين .

●●●

إن الذين كتب عليهم الظلام عاشوا ، بعد ثلاثة قرون من اكتشاف جوتنبرج لحروف الطباعة ، لايعرفون إلا الأدب الشفهى ، يتلقون العلم عن طريق آذانهم وحدها .

وجرت محاولات كثيرة لجعل المكفوفين يقرأون بأصابعهم الحروف البارزة . وصنعت هذه الحروف من الخشب والرصاص فى القرن الثامن عشر .

ولكن الخطأ الذى وقع فيه مبتكرو هذه الفكرة أنهم اعتمدوا على نفس الحروف التى يراها المبصرون ولكن بطريقة أخرى . . أن أحد السطور كان يبدأ من اليسار إلى اليمين ، والسطر التالى يبدأ من اليمين الى اليسار حتى لاتضيع أصابع الكفيف وهى تنتقل من سطر الى آخر !

وكان من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، أن يبتكر مبصر وسائل تعليم المكفوفين لأنه لايفكر مثلهم أو بعقليتهم .